الصورة الحسية في الشعر المغربي القديم

The sensual image in ancient Moroccan poetry

* نورة قطوش

Noura guettouche

مخبر الشعرية الجزائرية

جامعة المسيلة–الجزائر

.University of M'sila-Algeria

Noura.guettouche@univ-m'sila.dz

تاريخ الإرسال:2020/11/09	تاريخ القبول:2021/04/15	تاريخ النشر : 2021/12/25

ملخص البحث

تهدف هذه الورقة البحثية إلى الكشف عن مختلف الصور الحسية الواردة في الشعر المغربي القديم، هذه الأخيرة التي تستمد من عمل الحواس،وتعدّ عنصرا مهما في رسم الصورة وتشكيلها في الشعر العربي بشكل عام،فإلى أي مدى نجح هؤلاء الشعراء في توظيفهم لها في قصائدهم المختلفة،وما هي الصورة الحسية التي تمّ التركيز عليها من قبل الشعراء للتعبير عن تجاربهم الشعرية،وقد تم في هذا البحث تقديم تعريف للصورة الحسية وأنواعها المختلفة من صور بصرية،وسمعية،وشمية،وذوقية،ثم تتبع هذه الصور المختلفة في نماذج من الشعر المغربي القديم،وقد تم اختيار مجموعة من الشعراء ينتمون إلى فترات زمنية مختلفة،ثم البحث عن الصور الحسية الواردة في قصائدهم،وذلك نظرا ما للحواس من دور مهم في إضاءة الصورة الشعرية.

الكلمات المفتاح : شعر، صورة حسية،صورة بصرية، لون، صورة سمعية.

Abstract:

This research paper aims to reveal the various sensual images contained in ancient Moroccan poetry,

The latter is derived from the work of the senses, and is an important element in drawing and shaping the image in Arabic poetry in general. To what extent have these poets succeeded in employing them in their various poems, and what is the sensual image that has been focused on by poets to express their poetic experiences, In this research, a definition of the sensual image and its different types of visual, auditory, olfactory, and gustatory images has been presented. These different images are then traced in samples of ancient Moroccan poetry. A group of poets belonging to different periods of time have been selected, then the search for

* نورة قطوش Noura.guettouche@univ-m'sila.dz

sensual images Contained in their poems, given the important role the senses have in illuminating the poetic image.
Keywords: Hair, sensual image, visual image, color, auditory image.

أولا:– مفهوم الصورة الحسية:

تعرف الصورة الحسية بكونها ذلك التعبير عن تجربة حسية نقلت بطريق البصر، أو السمع، أو الشم، أو اللمس، أو الذوق،والحواس هي الوسيط الأول بين الإنسان ومحيطه الخارجي.وتعدّ وسيلة التعبير الأولى وعن طريقها " يستطيع الشاعر تقديم الصورة الصادقة لواقعه النفسي والداخلي وواقعه الخارجي والمحيط به"[1]، وتساهم الصورة الحسية في تشكيل الصورة الشعرية هذه الأخيرة التي تعد من أبرز الأدوات الشعرية التي يستخدمها الشاعر، في صياغة تجربته الشعرية،فبواسطتها تتجسد الأحاسيس وتشخص الأفكار والخواطر. وتستعمل كلمة صورة –عادة– للدلالة على ماله صلة بالتعبير الحسي، وتطلق عادة على الاستعمال الاستعاري للكلمات[2]، وهذا لا يعني أن الصورة الشعرية تقتصر على الأشكال البلاغية المعروفة، بل تتعداها إلى استغلال الحواس على اختلاف أنواعها للتعبير عن الأحاسيس والمشاعر، ونتج عن ذلك مجموعة من الصور الحسية التي ساهمت في تكوين الصورة الشعرية. يعدّ الخيال أحد مكوناتها، فبواسطته يقدم الشاعر صورا فنية، لها الأثر الكبير في نفس المتلقي. لأن "الخيال الشعري هو "الملكة التي تشكل بنية القصيدة وصورتها، وتصل ما بينها في عمل أدبي"[3]. بالإضافة إلى العاطفة التي تبعث في الشاعر القدرة على تصوير الأحاسيس وتجسيدها في صور شعرية.

يستخدم الإنسان حواسه لمعرفة ما يحيط به، فالحواس تبقى وسيلة الإنسان الأولى في معرفة الأشياء[4]. حيث ربط الشعراء بين هذه الحواس ودورها في تشكيل الصورة الشعرية،وتعدّ الحواس من أهم الوسائل التي اعتمدها الشعراء في تشكيل صورهم الشعرية، فكانت الصورة الحسية "تعبيرا عما يختلج الشاعر من أحاسيس، وليست تسجيلا فوتوغرافيا للطبيعة أو محاكاة لها، لكن الشاعر يخضع ما في الطبيعة لتشكيله، لتأتي صورة لفكرته هو، وليست صورة للطبيعة"[5]. وهذه نماذج من الصور الحسية الواردة في الشعر المغربي القديم من صور بصرية وسمعية، وشمية،وذوقية.

ثانيا: تجليات الصورة الحسية في الشعر المغربي القديم:

1– الصورة البصرية:

تتصدر حاسة البصر حواس الإنسان من حيث الأهمية،إذ تمكنه من إدراك أدق تفاصيل محيطه الخارجي وتعدّ من أكر الحواس تعاملا مع الواقع الخارجي إلى جانب حاسة السمع، والفنان المبدع هو الذي يحسن التصوير الحسي للأشياء، فينقل لنا فكرة أو إحساس داخلي عن طريق حسن استغلاله للحواس، خاصة حاسة البصر، حيث يصور لنا كل ما يختلج نفسه من مشاعر وأحاسيس ويجسده لنا في صورة حسية. وهذا ما جعل "ابن رشد" يلح على الجانب البصري من التقديم الحسي للصورة، حيث يشير إلى ذلك في أكثر من موضع ومن ذلك قوله:"وإجادة القصص الشعري، والبلوغ به إلى غاية التمام متى بلغ الشاعر من وصف الشيء أو القضية الواقعة التي يصفها، مبلغا يرى السامعين له كأنه محسوس ومنظور إليه"[6]. وبناء عليه يمكن القول أنّ للصورة الحسية أهمية كبيرة نقل تجربة الشاعر " فالشاعر الحاذق يختلف عن غيره أنه يرى أبعد وأدق لأنه لا يكتفي بالنظرة السطحية بل يحاول أن ينفذ إلى أعماق الأشياء ويعرف جوهرها،وهذه المحاولة هي التي تجعل الشاعر لا يقبل ما يرد على العين بل يتجاوزه إلى النادر الذي لا يُعتاد والغريب الذي لا يُؤلف"[7].ومن هنا تنبع أهمية الصورة من طريقتها الخاصة في تقديم المعنى وتأثيرها في المتلقي.

ومن الصور الحسية الواردة في الشعر المغربي القديم، الصورة البصرية، هذه الأخيرة التي يكثر توظيفها من قبل الشعراء،من أجل توضيح المعنى، وإيصال الفكرة للمتلقي والتأثير فيه. اعتمد الشعراء في صورهم البصرية على أفعال الرؤية مثل: رأى، أرى، رأيت، يرى. رأوه،. .. الخ

فالشاعر في البيت الأول استعمل الفعل: رأيت، لينقل لنا صورة عن جمال فتيات هذا الحي، ولفرط حسنهن تخيل أنه في الصباح، وجعلنا نعيش معه المشهد ونتصور كيف أن جمال وحسن وبهاء فتيات الحي، قد يكون سببا في انجلاء ظلمة الليل.وفي البيت الثاني جعلنا نشاركه لوعته وشوقه، وذلك من خلال استعمال الشاعر الفعل: عنَّت بمعنى ظهرت، ليصور لنا مدى شوقه ولوعته عند رؤيته فتيات الحي.

الأمر نفسه عند الشاعر: أبي عبد الله محمد بن يحي بن عبد السلام "الدلسي"[8]:

وذلك في قوله: فلو أن هاروتا رأى سحر طرفه أقر بأن السحر من لحظه اشتقا

ولو أن عشاق الجمال كما أرى رأوه لهاموا عند رؤيته شوقا

وكل محب في الجمال يرى به إلى العالم العلوي همته ترقى[9]

الملاحظ هو أن الشاعر استعمل كثيرا أفعال الرؤية: رأى، أرى، رأوه، يرى، وهذا للتأكيد على أهميتها في تجسيد المعنى، والتأثير في المتلقي. وبذلك نجح الشاعر في نقل في ما يختلجه من أحاسيس ومشاعر وذلك باعتماده على الصورة البصرية.

بالإضافة إلى هذا نجد أن أغلب الشعراء قد يلجأ إلى استعمال اللفظ الدال على حاسة البصر وهي: العين، وهذا حرصا منهم على توضيح الفكرة للمتلقي ومن ذلك قول الشاعر:

"الإيادي" : أعجب بأسطول الإمام محمد وبحسنه وزمانه المستغرب

ليست به الأمواج أحسن منظر يبدو لعين الناظر المتعجب[10]

والأمر نفسه نجده عند "تميم بن المعز"وذلك في قوله:

كأنّ سواد الليل والصبح طالع بقايا مجال الكحل في الأعين الزرق[11]

فبالإضافة إلى استخدام الفعل: رأت، أضاف الشاعر لفظ "العين" لتأكيد فعل الرؤية،زيادة منه في تجسيد المعنى وتأكيده.

أما الشاعر: "يحي بن عبد السلام الدلسي": فيقول:

تعلمت من عينيه عشقي لحسنه فلله ألحاظ تعلمني العشقا[12]

ذكر الشاعر لفظ "عينيه"،ولفظ " ألحاظا"ولتأكيد تأثير هذا في المتلقي ذكر لفظ "ألحاظ" فنقل الشاعر صورة حسية عن جمال هذه العيون، كما أن الفعل الماضي "تعلمت" له دلالة على مدى تأثير هذه العيون، وأن تأثيرها لا زال مستمرا وهو ما دل عليه الفعل المضارع "تعلمني" فالشاعر نجح في رسم صورة حسية عن جمال وسحر عيني تلك المرأة.

بالإضافة إلى ما سبق اعتمد الشعراء في صورهم البصرية على عنصري اللمعان و النور، فلا تكاد تخلو صورة بصرية من وجودهما.

"واللمعان" يدرك بالبصر، وبالتالي فالشاعر كثيرا ما يعتمد الصورة البصرية لينقل لنا صورة عما يحسه ويعانيه ومن الأمثلة على ذلك نذكر قول الشاعر "أبو زكريا بن محجوبة القرشي السطيفي"[13]:

جلت لك ليلى من مثنى نقابها طريقا وأبدت لمعة من جمالها

فكيف ترى ليلى إذا هي أسفرت ضحاء وأبدت وارفا من دلالها[14].

الملاحظ أنّ الشاعر ينقل للمتلقي صورة حسية عن جمال هذه المرأة، ويدعو إلى إمعان النظر فيها، وذلك ما دل عليه الفعل الماضي: جلت، والفعل: أبدت، وهو ما يفيد بالظهور والتجلي، وهذا يستدعي النظر

إليها وبالتالي لجأ الشاعر إلى الصورة البصرية لينقل لنا صورة حسية رائعة،ويجعل المتلقي يتصور ويتخيل حسن وجمال هذه المرأة المتغزل بها. وعنصر اللمعان حاضر أيضا في قول الشاعر: "ابن عميرة المخزومي"[15] يمدح "أبا زكرياء الحفصي" حيث يقول:

فضله مثل سنا الشمس وهل لسنا الشمس يرى من جاحد[16]

الملاحظ أن الشاعر قدّم لنا صورة عن جود وكرم ممدوحه حيث جعله واضحا للعيان. وشبهه بضوء الشمس الذي لا ينكره أحد، فزادت هذه الصورة البصرية من تجسيد المعنى، أيضا ما زاد من تأكيد هذه الصورة استعماله لفظ "سنا" والذي يعني الضياء وبالتالي هذه الصور الحسية تدرك بالبصر.

و الأمر نفسه نجده عند الشاعر أبي عبد الله محمد بن أحمد الإدريسي المعروف "بالجزائري" في قوله:

وقد جاذبت ريح الصبا فضل مرطها* فأومض لي برق تضمنه الثغر[17]

ولمعان البرق يدرك بالمشاهدة وبالتالي حضور صورة بصرية أخرى ساهمت في نقل إحساس الشاعر إلى المتلقي.

وذكر "ابن رشيق" في كتابه"الأنموذج" أبياتا "لابن النحوي"، والذي قال عنه:" شاعر مشهور مطلق الكلام مشترك المعاني عنده علم من قدر من علم النحو وبذلك عُرف"[18] ومن شعره: إذا أخذ الأقلام خلت يمينه يُفتّح نوارا فرادى وتوأما

وإن قام في النادي لفصل قضية أعاد ضياء كل ما كان مظلما[19]

بالإضافة إلى ما سبق فإن الشعراء في هذه الفترة،اعتمدوا كثيرا على الصورة البصرية، لنقل صور حسية تعبر عن مشاعرهم. وذلك باستعمالهم لألفاظ مثل: الشمس، القمر، النور، والتي تشاهد وتدرك بحاسة البصر. وهذا ما نجده أكثر في قصائد المديح النبوي. وهذا ما نلاحظه في شعر "أبي عبد الله محمد بن أبي بكر العطار"حيث مدح النبي"عليه الصلاة والسلام"بقصيدة يقول فيها:

أَنوار أحمد حسنها يَتلألأُ المصطفى مُجلى الكمال يجلأُ

الشّمس تخجل وهو منها أضوء النّور منه مقسّـم ومجـــزَّأ

قد زان ذاك النّور إبرا هيمَا صلوا عليه وَسلموا تسليمًا[20]

فالشاعر قدم صورة مشرقة تشع نورا.وقد زادها نورا وبهاء ضياء وجه النبي عليه الصلاة والسلام. والعنصر الأخير الذي تم التركيز عليه من طرف الشعراء في صورهم البصرية هو: اللون، خاصة اللون: الأحمر،

والأبيض، والأخضر. وقد أدرك الشعراء منذ القديم ما للون من أهمية في الحياة،وما له من دور في التعبير عن المشاعر،فتم توظيفه في عدد من قصائدهم.يقول "بن الجنان المرسي":

فانظر إلى أدمعي تنهيك حمرتها فإنها رشح أحشائي وأكبادي[21]

فالملاحظ هو أن ابن "الجنان" جعل للدموع اللون الأحمر وهو بذلك يحاول أن ينقل للمتلقي ما يعانيه من آلام، فاستعان بالصورة البصرية لتجسيد المعنى، فكان هذا اللون الأحمر للدموع، التي ما هي إلا عصارة دم أحشائه، وبالتالي فإن هذه الصورة البصرية تجعل المتلقي يشعر بما يحسه الشاعر وما يعانيه من آلام الفراق، وبالتالي يتعاطف معه.

كما نقل لنا "ابن رشيق" شعرا "لأبي يعقوب بن المضاء بن سفيان بن سالم التميمي"،حيث قال عنه:"كان أبوه من أمراء بني عمه الأغالبة،ورغب يعقوب عن السلطان وولايته،وانصرف إلى النسك ونزع السواد وأعرض عن الدنيا..."[22].

ومن شعره قوله:

فقد عمرت ذا فرع أثيب كان سواده حنك الغراب

فلا تعجل رويدك عن قريب كأنك بالمشيب وبالخضاب[23]

الملاحظ أن الشاعر قدّم لنا صورة شعرية مزج فيها بين اللون الأسود،والأبيض،والأحمر،

فهي صورة بصرية يطغى عليها اللون الأسود من خلال ذكر الشاعر له مباشرة، ثم الإحالة إليه من خلال توظيف اسم "الغراب".واذكر "المشيب" إشارة منه إلى للون الأبيض.كما يظهر اللون الأحمر من خلال ذكر الشاعر" للخضاب"واللون الأحمر له تأثير على البصر وبالتالي تأثير في نفس المتلقي. نقل لنا"ابن الأبار "قول "بكر بن حماد التيهرتي":

خلقن الغواني للرجال بلية فهن موالينا ونحن عبيدها

وإذا ما أردنا الورد في غير حينه أتتنا به في كل حين خدودها[24]

حيث يظهر اللون الأحمر في هذه الصورة الشعرية من خلال ذكر الشاعر وتشبيهها بالورود في حمرتها. فالشاعر وظف اللون الأحمر لكن بغير لفظه وأشار إليه بكلمة" الورد"، واللون الأحمر هو لون الحركة والحياة،أما عاطفيا فيعدّ اللون الأحمر لون الحب والتفاؤل.وبالتالي يمكن القول أن "ألوان الأشياء وأشكالها هي المظاهر الحسية التي تحدث تواترا في الأعصاب وحركة المشاعر"[25]

وأحيانا يرسم الشاعر صورة بصرية يكون اللون الأخضر حاضرا فيها لكن من خلال الرمز إليه، من ذلك قول الشاعر "المهدوي"[26]:

وما أدلجت تثني إلى العشب ليتها ولكن في وادي العقيق لها عشبا[27]

حيث قدّم لنا الشاعر صورة كلها اخضرار وذلك من خلال تكراره للفظ "عشب" فيتبادر إلى ذهن القارئ تلك الصورة الجميلة، عن منظر الماء والعشب الأخضر، وتترك أثرها الجميل في النفس. فالشاعر نقل لنا صورة بصرية تبعث في النفس النشاط والحيوية، وصور لنا مشهد انبعاث الحياة من جديد واستغل الشاعر ذلك الأثر الجميل الذي يتركه اللون الأخضر في النفس، وما يحمله هذا اللون من دلالة رمزية على تجدد الحياة ورغد العيش. إذن فالصورة البصرية كانت حاضرة وبقوة في نماذج من الشعر المغربي القديم، وهذا نظرا لأهميتها في تجسيد المعنى وتوضيحه، ولما لها من دور التأثير في المتلقي.

2- الصورة السمعية:

يعدّ السمع أحد منافذ إدراك الأشياء وتصويرها والإحساس بها، واستشعار الجمال يكمن في السمع كما يكمن في البصر، ومن الصور الحسية التي تترك ذلك الأثر الجميل في نفس المتلقي الصورة السمعية وذلك من خلال استلهام القيمة الجمالية للصوت من خلال همسه وجهره، وشدته ولينه، وبالتالي فإن للصورة السمعية أثر جميل في نفس المتلقي لا يقل أهمية عن أثر الصورة البصرية، وذلك من خلال استغلال طاقات اللغة الصوتية،وربما هذا ما دفع محمد عبد الحميد إلى القول بأن " حاسة السمع تأخذ مكان الصدارة والأهمية من قبل أخواتها عند الإنسان عموما وعند العربي على وجه الخصوص"[28]. ومن الصور السمعية الواردة في الشعر المغربي القديم نذكر استعمال ألفاظ: تقول، أقول، تقولين، والذي يستدعي استعمال حاسة السمع لإدراك ما يقال، ونقل لنا "ابن رشيق" في كتابه " الأنموذج" أبياتا شعرية لشاعر يدعى"علي بن عطاء " حيث يقول:

رأت مشيبي فأنكرته فقلت:لا تنكري لذاك

قالت: من العرج أنت أيضا فقلت: لا إنما أحاكي[29]

وهذه صورة سمعية نجح الكاتب في تقديمها في شكل حوار، حيث ركز على الفعل"قلت" الذي يستدعي حاسة السمع لفهم ما يقال،فهذه الصورة السمعية تحرك ذهن المتلقي وتجعله يتصور المشهد وكأنه يراه حقا.

وأحيانا يوظف الشعراء في صورهم السمعية "صوت الحمام"، لما له من تأثير في نفس المتلقي يقول "ابن عميرة المخزومي"

وما نسيت باهزاج الحمام ضحى جرس الحلي ولا وسواسه الهزجا

غداة زارت وللخلخال من خرس مالوشاح من الإفصاح معتلجا[30]

الملاحظ أن "ابن عميرة" في البداية شبه صوت رنة الخلخال بهديل الحمام ضحى و بالتالي فهو ينقل للمتلقي صورة سمعية، تحرك ذهنه وتشعره بالنشوة والطرب. . ولأهمية الصورة السمعية، فإن الشعراء كثيرا ما يؤكدون هذه الصورة وذلك بذكر لفظ "حديث" الذي يدعو أكيد إلى الاستماع والتركيز لفهم ما يقال، وبالتالي فإن هذه الصورة السمعية تحرك شعور المتلقي وتؤثر فيه . نذكر من هذه الصورة قول:" أبو عبد الله الجزائري: فو الله ما أدرى لطيب حديثها أضمن سحرا أم هو السحر[31].

فالشاعر استعمل لفظ: حديث، لينقل لنا صورة سمعية اختار لها الألفاظ التي تحرك شعور المتلقي، "والشعر نفسه ليس في حقيقة أمره إلا جملة من الكلمات المختارة يقصد بها الشاعر إلى أن يهز الأذن هزا أقوى"[32].

نقل لنا "ابن الأبار" في كتابه "الحلة السيراء في شعر الأمراء أبياتا شعرية"لأبي عبد الله الشيعي" بعد إيقاعه بجيش بني الأغلب، حيث يفخر بقوته، وشجاعته، وحسن بلائه في المعارك،فهذا هو ما يسعده ويبهجه كما يبهج الدف من يستمع إلى نقره،وهذا ما يبدو في قوله[33]: من كان يعجبه ويبهجه نقر الدفوف ورنة الصنج*

فأنا الذي لاشيء يعجبني إلا اقتحامي لجّة الرهج*

3– الصورة الشمية:

الشم نافذة من نوافذ الإدراك الحسي التي تثير لدى الشاعر إحساسا معينا تجاه الأشياء التي تصور من خلال ارتباطها بهذه الحاسة، والفنان المبدع هو الذي يستطيع خلق صورة جيدة تجعل المتلقي ينفعل ويحس بها، وذلك من خلال استثماره لملكاته الحسية. ومثال ذلك قول"القاسم بن مروان القفصي" الذي عرّفه "ابن رشيق " بقوله:" شاعر قوي الطبع مهول يقرع السمع ويحزن في أكثر كلامه ولا يسهل إلا قليل مع قوة ظاهرة كأنه نجدي"[34]

حيث يقول: وهبّ أريجكم من أرض نجد نسيما شيبَ بالمسك الفتيق

فأحيا مهجتي وشفى غليلي وأطفأ ما بقلبي من حريق

حيث قدّم لنا الشاعر صورة حسية تبعث في النفس النشوة والارتياح،وذلك بتوظيفه لكلمات أريج،نسيم، المسك الفتيق،وجعلنا نشم شذاها الزكي ونتفاعل معها وكأنها حقيقية. وبالتالي يمكن القول أن الصورة الشمية من الصور الحسية التي عبر بها الشعراء عن أحاسيسهم ومشاعرهم، بطريقة تجعل المتلقي يتفاعل معه.

ومن الصور الشمية أيضا نذكر هذه الأبيات "لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر العطار الجزائري"[35] صلوا على المسك الذكي الفائح صلوا على الهادي النبي الناصح[36].

وقوله في موضع آخر:

صلوا على مزن العلوم الماطر صلوا على المسك الفتيق العاطر

صلوا على نور يلوح ويبرز صلوا على مسك يفوح ويحزر[37]

الأبيات السابقة من قصيدة قالها الشاعر في مدح النبي عليه الصلاة والسلام حيث جعله بمثابة المسك الذي تنتشر رائحته الذكية في كل مكان، فهذه صورة شمية تحرك مشاعر المتلقي وتجعله ينفعل معها ويحس بها. أما حازم "القرطاجني" فنذكر له هذه الأبيات التي يقول فيها:

غصن من البان لما تهتصره يد لكنه بضمير النفس مهصور

فلست كافر نعمى منه حين غدا مسك الدجى وهو بالكافور مكفور[38]

إلى أن يقول:

فشيمة الكف منه سطوة وندى وشيمة النفس تقديس وتطهير

ففي الغمائم خيم من مكارمه وفي النواسم من رياه تعطير[39].

فالشاعر استعان بحاسة الشم ليرسم لنا هذه الصورة الحسية، حيث شبه ممدوح تارة بالمسك وتارة أخرى بالكافور، فمكارم ممدوحه أثارت شعوره ودفعته إلى تسجيل ذلك، فرسم صورة شمية تحرك شعور المتلقي، وتجعله يتفاعل معه ويتأثر بها.

والملاحظ هو أن الصورة الشمية أقل استعمالا من الصورة البصرية والصورة السمعية، الشعر المغربي القديم،لكن على قلة استعمالها تبقى لها الأهمية في إثارة انفعال المتلقي وتحريك مشاعره. وبالتالي رسم صورة حسية فهي تساهم في نقل تجربة الشاعر وإحساسه كما تساهم في تجسد الواقع الخارجي وتجعل المتلقي يتصور المشهد ويحسه.

4- الصورة الذوقية:

إن حضور هذه الصورة قليل بالنسبة للصور الحسية الأخرى، ولكن هذا لا يقلل من أهميتها، وذلك من خلال طريقتها الخاصة في تقديم المعنى والتأثير في المتلقي.وتعدّ حاسة الذوق من الحواس الهامة في إدراك مواطن الجمال،إذ يلجأ إليها الشاعر في كثير من شعره،ومن الصور الذوقية الواردة نذكر قول"أحمد بن سفيان بن سالم بن عقال"[40]:

اصطحبناها سلافا وشربناها اغتباقا*

وأدرنا الكأس بالرا ح على الشرب دهاقا*

قال عنه "ابن الأبار": "ولي أحمد هذا "الزاب"* ثم ولي طرابلس وأعمالها سنين كثيرة "[41]

من خلال هذه الصورة الحسية، شخص الشاعر إحساسه بالنشوة ونقل ذلك إلى المتلقي، ليوحي لنا بأن هذه الخمرة يتلذذ صاحبها بشربها ويحس بالسعادة، وبالتالي لحاسة الذوق هنا أيضا أهمية في رسم هذه الصورة الحسية. لقد حاول الشاعر من خلال هذه الصورة الحسية، أن يصور إحساسه الداخلي وشعوره بالنشوة، ونقل ذلك إلى المتلقي عن طريق هذه الصورة الذوقية.

حيث رسم الشاعر صورة حسية "ذوقية"، وما زاد من توضيحها استعماله للفعل المضارع "يروي"، والملاحظ أن الصورة الذوقية كثيرا ما تستعمل عند الحديث عن شرب الخمر وتصوير الإحساس بالنشوة، ونقل ذلك كله إلى المتلقي عن طريق صورة حسية ذوقية، ومثال ذلك أيضا قول"البجائي" المتوفى سنة675هـ:

سفرت على وجه الجميل فأسفرا وبدا هلال الحسن منها مقمرا ودنت فكاشفت القلوب بسرها

وسقت شراب الأنس منها كوثرا[42]

وبما أنّ الشرب والارتواء يكون من الماء العذب،فقد وظف الشاعر لفظ"كوثرا" وبالتالي لحاسة الذوق أهمية كبيرة في تشكيل هذه الصورة الحسية. وفي الصورة الذوقية كثيرا ما يرد لفظ "عذب" للدلالة على استعمال حاسة الذوق في رسم هذه الصورة الحسية ومثال ذلك قول "ابن عربية"[43]:

أغر شنيب ما أعيذب ثغره وأحلى الفاظا وأندى وأرخما[44]

حيث استعمل الشاعر لفظ "أعيذب" والتصغير هنا يفيد التحبب، حيث تعتمد هذه حاسة الذوق للتعبير عن جمال الأشياء،فتذوق الأشياء له أثر كبير في إدراكها والإحساس بها وتصويرها.أما ابن العطار الجزائري، فيقول من قصيدة في مدح النبي(عليه الصلاة والسلام):

صلوا على المسك الفتيق الأطيب صلوا على الورد المعين الأعذب [45]

ويقول في موضع آخر:

صلوا على المسك الذكي البالغ صلوا على الورد المعين السائغ[46]

الملاحظ هو أن في البيت الأول ورد لفظ "الأعذب" وفي البيت الثاني ورد لفظ "السائغ" الذي يعني العذب وحلو المذاق، فالشاعر نقل إحساسه وإعجابه بمكارم النبي صلى الله عليه وسلم- حيث جعله بمثابة المنبع العذب الذي ينهل منه الجميع، واستعان بالصورة الذوقية ليجسد المعنى وينقل هذه الصورة للمتلقي هذا الأخير الذي يتفاعل معها ويتأثر بها .

ثالثا:-خاتمة:

تعدّ الصورة الحسية وسيلة الشاعر للتعبير عمّا يختلجه من أحاسيس ومشاعر، كما تساهم بشكل كبير في تشكيل الصورة الشعرية،وقد كان حضورها بشكل واضح في الشعر المغربي القديم وهذا ما تمت ملاحظته من خلال دراسة نماذج شعرية مختلفة.يتضح مما سبق أن توظيف الصورة البصرية في الشعر المغربي القديم يظهر بشكل واضح في قصائد المديح النبوي وقصائد الغزل.وبناء عليه يمكن القول أنّ للصورة البصرية أهمية في تشكيل الصورة الشعرية، فالشاعر البارع هو الذي يجعل المتلقي يتصور الشيء الموصوف وكأنه يراه. والأمر نفسه فيما يتعلق بالصورة السمعية فهي الأخرى يكثر توظيفها خاصة في قصائد المديح النبوي.كما وظف الشعراء الصورة الذوقية،ذلك أنّ الإحساس والذوق عمليتان متلازمتان في الشعر وعادة ما يقترن الذوق بالشعور،فتذوق الأشياء له أثر كبير في إدراكها والإحساس بها.بالإضافة إلى توظيف الصورة الشمية التي يختار لها الشاعر الألفاظ المناسبة التي تجعل المتلقي يتأثر بها وكأنها حقيقية.والملاحظ أنّ الصورة الشمية، والصورة الذوقية،هما الأقل توظيفا من قبل الشعراء في قصائدهم مقارنة بالصورة السمعية والبصرية،وهذا الحضور القوي للصورة السمعية، يعكس أهمية هذه الأخيرة،ودورها في تشكيل الصورة الشعرية بصفة عامة.

إذن يبقى للصورة الحسية أهميتها في تجسيد المعنى وتوضيحه، إذ عن طريقها يعبر الشاعر عما يختلجه من أحاسيس ومشاعر، وينقل ذلك للمتلقي الذي يتفاعل معها وتؤثر فيه .

هوامش :

[1] - إبراهيم جابر علي: المستويات الأسلوبية في شعر بلند الحيدري،دار العلم والإيمان،مصر،ط 1،2009،ص419، ص419.

[2]– ينظر:مصطفى ناصف: الصورة الأدبية
الأندلس،بيروت. ص03

[3] –جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1974، ص09 .

[4] – محمد الهادي الطرابلسي: خصائص الأسلوب في الشوقيات، منشورات الجامعة التونسية، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، مجلد عدد 20، 1981، ص17.

[5] – على البطل، عصا م بحي: (الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري، دارسة في أصورها وتطورها)،، فصول، المجلد الرابع، العدد الثالث، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1984، ص224.

[6] – نقلا عن:ألفت كمال الروبي :نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين،دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،2007، ص227

[7] – جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب،ص173.

[8] ––هو أبو عبد الله محمد بن يحي بن عبد السلام، أصله من "تدلس"، وسكن بجاية ولقي المشايخ، وبرع في الأدب، وله علم بالتاريخ، وله حظ من الفقه، ولي القضاء ببعض كور بجاية، وكان يحب أن ينسب بأنه من الفقهاء لا من الأدباء، ولكن الغالب عليه إنما هو الأدب، لم يذكر الغبريني في كتابه :عنوان الدراية: سنة ولادة الدلسي، ولا سنة وفاته. – ينظر: الغبريني: عنوان الدراية، ص294.

[9] – الغبريني:عنوان الدراية، ص297.

[10] نفسه،ص233.

[11] نفسه،ص261.

[12] – الغبريني، :عنوان الدراية، ص296 .

[13] – هو يحي بن زكرياء بن محجوبة القرشي السطيفي،، كان من المتعبدين الزهاد الأولياء، رحل إلى المشرق،يقول الغبريني في عنوان الدراية:"وهنالك ظهرت له حقائق،وانقطعت عنه عوارض العلائق،وكان للشيخ هنالك أصحاب قد أدركوا المدارك،وجاوزوا سبيل المسالك،وكانوا يريدون ترقي الشيخ أبي زكرياء إلى بعض مداركهم،والانتظام في مسلكهم،ومازالوا به إلى أن ظهر له بعض التحقيق واعتمد جادة الطريق". وكان رحمه الله ممن تخلى عن الدنيا وتركها، وكان صاحب كرامات مستجاب الدعوة، وله نظم حسن وقطع مستحسنة كلها في المعاني الصوفية..توفي رحمه الله ببجاية عام 677هـ. – ينظر:الغبريني: عنوان الدراية، ص119.

[14] –م،ن،ص119.

[15] – هو أحمد بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن عميرة المخزومي، بلنسي الأصل يكنى أبي مطرف من أهل جزيرة شقر*، سكن بلنسية مدة وكتب عن ولاتها، وفاق الناس بلاغة، قدم تونس، وتقلد القضاء ببعض البلاد، ثم اتصل بالمستنصر وحظي عنده وكان من جلسائه توفي بتونس سنة 658هـ سبتة ثم توجه إلى إفريقية، فاستقر ببجاية، وكانت بينه وبين كتاب

عصره مكاتبات ظهرت فيها براعته، وكان له في الزهد ومدح النبي صلى الله عليه وسلم بدائع النظم، توفي ببجاية في عشر الخمسين وستمائة.

–ينظر: عنوان الدراية، الغبريني، ص250.، ابن قنفد القسنطيني: الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تح : محمد الشاذلي النيفر. عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، . 1968 .

[16] – المقري (أحمد بن محمد المقري التلمساني) :نفح الطيب من غصن الأندلسي الرطيب، تح إحسان عباس، ج1، دار صادر. بيروت، لبنان. (د.ت). ص 309.

[17] الغبريني :عنوان الدراية،ص209.

[18] –ابن رشيق: أنموذج الزمان في شعراء القيروان،جمعه وحققه: محمد لعروسي المطوي–بشير بكوش،الدار التونسية للنشر،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر،الجزائر،ص128.

[19] –نفسه،ص ن.

[20] – االحفناوي (أبو القاسم محمد الحفناوي):تعريف الخلف برجال السلف،مؤسسة الرسالة،بيروت لبنان ـ المكتبة العريقة تونس،ط1، 1986، ص552

[24]،المقري : نفح الطيب، ج 7، ص 432

[22] –ابن رشيق: الأنموذج،ص164.

[23] –نفسه،ص ن.

[24] –ابن الأبار: الحلة السيراء في شعر الأمراء،تح :محمد عثمان،شركة نوابغ الفكر،ط1، 2009 ص15.

[25] عز الدين إسماعيل :التفسير النفسي للأدب، دار غريب للطباعة، ط4، دت،ص59

[26] –هو أبو يعقوب يوسف بن علي بن عبد المالك بن السماط البكري المهدوي، وكان أبو يعقوب هذا قد قصر شعره على مدح رسول الله(مدح النبي عليه الصلاة والسلام)، فلا يوجد شعر له غير ذلك إلا التافه النزر مما قاله في صباه، ولد بالمهدية سنة (613 هـ)، وتوفي بها سنة (690 –ينظر: التجاني :الرحلة،ص381.

[27] – التجاني :الرحلة،، ص382.

[28] – محمد عبد الحميد:في إيقاع شعرنا العربي وبيئته،دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية..2005 . ص18.

[29] –ابن رشيق: الأنموذج،ص293.

[30] م،ن، ص290.

[31] المقري :نفح الطيب،المقري،ج7،ص433.

[32] – محمود عسران :موسيقى الشعر،مكتبة بستان المعرفة، الإسكندرية، مصر، 2007.ص353.

[33] ابن الأبار: الحلة السيراء،ص173.

* صنج الجمع صنوج: صفائح صفر مستديرة تُثبت في أطراف الدف.

* الرهج: الغبار

[34] ابن رشيق: الأنموذج، ص322.

[35] هو "أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن أبي بكر العطار الجزائري"، من جزائر مزغنة وهي المشهورة الآن بالجزائر، صحاب كتاب "نظم الدرر في مدح سيد البشر" و" الورد العذب المعين في مولد سيد الخلق أجمعين" قال المقري "في نفح الطيب: "وليس هو بابن العطار المشرقي الذي كان معاصرا لابن حجة الحموي، فإن ذلك متأخر عن هذا، وهذا مغربي وذاك مشرقي".

لم يذكر الحفناوي تاريخ ولادة ابن العطار الجزائري ولا تاريخ وفاته. ذكر ابن قنفذ أن الخليفة "المستنصر" قبض على عامله أبي العباس اللياني وأبي عبد الله بن العطار سنة 658هـ وقتل اللياني وأطلق بن العطار. -ينظر: -تعريف الخلف برجال السلف، الحفناوي،ص551.

[42]ا- الحفناوي :تعريف الخلف برجال السلف،ص553.

[37] م،ن،ص554.

[38] – حازم القرطاجي (أبو الحسن حازم بن محمد بن حسن): ديوان حازم القرطاجني،، تح: عثمان الكعاك، المكتبة الأندلسية، مطبعة عيتاني الجديدة بيروت، دار الثقافة، بيروت. لبنان،1964، ص60.

[39] م،ن،ص61.

[40] -ابن الأبار: الحلة السيراء في شعر الأمراء،تح :محمد عثمان،شركة نوابغ الفكر،ط2009،1،ص165.

* الغبوق هو ما يُشرب من الخمر في العشي.

* من قولهم أدْهَقْت الماء أفْرَغته إفراغاً شديداً فهو إذاً من الأَضداد وأدهق الكأسَ شدَّ ملأَها وكأسٌ دِهاق مُتْرعة ممتلئة وفي التنزيل وكأساً دِهاقاً.

– * الزاب: الزّاب بعد الألف موحدة فقد قال ابن الأعرابي:زَابَ الشيئ إذا جرى،...الزّاب الكبير من بسكرة وقسنطينة وطولقة وقفصة ونفراوة. – ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج3،دار صادر، بيروت،(د ت، د ط).،ص123

[41] – ابن الأبار: الحلة السيراء في شعر الأمراء، ص165.

[42] -الغبريني: عنوان الدراية،ص87.

[43] --هو الفقيه القاضي أبو عمرو عثمان بن عتيق بن عثمان القيسي، المعروف "بابن عربية "، أحد العلماء الأعلام، كان حافظا للحديث مقدما في علوم الأدب، مجد من فحول الشعراء، ولد بالمهدية سنة (600 هـ)، وذكر التجاني في رحلته انه رأى ذلك بخط يده، وله تصانيف مفيدة منها كتاب "جوامع الكلم النبوية" وكتاب "آثار السحابة في أشعار الصحابة" وكتاب "سنن القوم، في آداب الليلة واليوم" وديوان نظمه المسمى "قصائد المدح، ومصائد المنح" وغيرها من المؤلفات الأخرى. اتصل بالأمير أبي زكرياء الحفصي، ولما توفي هذا الأخير رثاه ابن عربية بقصيدة، والأجمل فيها انه جمع في كل بيت من القصيدة رثاء الأمير الحفصي، وتهنئة ولده المستنصر. توفي ابن عربية بتبرسق سنة (659 هـ).

-ينظر: التجاني: الرحلة ص375، ابن قنفد :الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية،ص113.:

[44] التجاني: الرحلة،ص372.

[45] م،ن،ص379.

[46]-، الحفناوي :تعريف الخلف بر جال السلف، ص255.